

الإيجاز بين الوجهة النحوية والوظيفة الجمالية والفنية

في الشعر العباسي

أ. صابئة مسعودة

المدرسة العليا للأساتذة

تاريخ النشر: 2018/09/15	تاريخ القبول: 2018/08/06	تاريخ الإرسال: 2018/06/11
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص :

تميزت اللغة العربية بخاصية أصيلة في لسانها تمثلت في الإيجاز، ذلك أن اللغة في الأصل تهدف إلى التعبير عن المقصود، أي أن للكلام فائدة مرجوة، وعدم تحقيق تلك الفائدة يلغي مبرر وجود هذا الكلام.

والإيجاز باعتباره ظاهرة أسلوبية لغوية، قد شهد حضوراً قوياً في كلام العرب منذ القدم، إلا أنه حمل رؤية جديدة عند الشعراء العباسيين، فقد سلكوا المسلك اللغوي ذاته، إنما بمفردات فتحت أفقاً دلالياً للجمل الشعرية، من خلال رسم صورة شعرية جديدة لم تكن مألوفة سابقاً، بحيث اجتمع فيها الحسي إلى جانب المعنوي، والمجرد إلى جانب المجسم، مما ولد علاقات لفظية جديدة داخل السياق التّظمي لتلك الجمل الشعرية، التي جعلت من الإيجاز بنوعيه عنواناً لأسلوب بنائها وتركيبها فنياً، وحظيت بالجمالية المناسبة لكل نمط من أنماط الإيجاز. غير أنّ هذه الظاهرة يمكن أن يمتد أثرها إلى الحالة الوجدانية و الانفعالية التي تحيط بالمبدع أو بالمتلقي على حد سواء.

ولما كان الإيجاز مبحثاً من مباحث علم المعاني لما له من وثيق الصلة بقصد المتكلم، وحال المخاطب، والمقام الذي يلقي فيه الكلام، وهي العناصر التي يعني بها علم المعاني في سعيه لوضع ضوابط توصل المعنى من المتكلم إلى المخاطب سليماً وخالياً من

اللبس، سلطنا الضوء في هذه الدراسة على الإيجاز بين الوجهة النحوية والوظيفة الفنية والجمالية في الشعر العباسي.

الكلمات المفتاحية: الإيجاز – الوجهة النحوية – الوظيفة الفنية والجمالية – الشعر العباسي.

Résumé :

La langue arabe a été caractérisée par une caractéristique originale dans sa langue, qui était concise, car la langue avait l'intention d'exprimer le sens, c'est-à-dire le bénéfice souhaité, et l'échec de cet intérêt élimine la justification de l'existence de ce discours. En tant que phénomène stylistique linguistique, il a connu une forte présence dans le discours arabe depuis l'Antiquité, mais il a porté une nouvelle vision dans les poètes abbassides. Ils ont suivi le même chemin linguistique, mais avec un vocabulaire qui a ouvert une image poétique en dessinant une nouvelle image poétique qui n'était pas auparavant familière, Ce qui a créé de nouvelles relations verbales dans le contexte des systèmes de ces phrases poétiques, qui ont fait de la brièveté des deux types un titre à la méthode de construction et d'installation de l'art et ont reçu l'esthétique appropriée pour chaque type de brièveté. Cependant, ce phénomène peut s'étendre à l'état affectif et émotionnel du créateur ou du destinataire.

Étant donné que la brièveté est un sujet de l'étude de la signification des significations en raison de la pertinence du but du créateur au destinataire et le contexte du discours, qui est la signification des significations dans la quête d'établir des contrôles pour atteindre le sens du créateur à l'adresse, est intact et sans ambiguïté, Cette étude est basée sur une brève distinction entre l'aspect

grammatical, fonctionnel et esthétique de la poésie abbasside.

Mots-clés: Brièveté - Destination grammaticale - Fonction artistique et esthétique - Poésie abbasside.

المقدمة:

يحتاج الشعر إلى كل ما يقوي دعائم الخيال فيه، ويفسح المجال لانطلاق أجنحته وراء الألفاظ والعبارات، فلا تكون معانيه على قياس ألفاظه، ولا تطول عنها ولا تقصر عباراته بدقائقها، إنما تعني المعاني من خلال ألفاظ موجزة تعبر عنها، وتعمل المخيلة فيها، دون أن يصيبها الغموض والإبهام الذي يغلق المعنى.

وأسلوب الإيجاز هو الدعامة الأساسية لكشف أسرار الأسلوب الرمزي في الشعر، حيث يعبر الشاعر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وقبل إيراد النماذج الشعرية من الشعر العباسي التي وظف فيها أصحابها الإيجاز لابد لنا من التعريف به والتحدث عن أنواعه ورأي العلماء فيه.

1- الإيجاز لغة واصطلاحاً:

أ- لغة: ذكر الزمخشري وَجَزَ: "كلام وجيز وموجز، وقد وَجَزَ منطقتك وجازة وأوجزته إيجازاً، وتوجزت الشيء تنجزته" ¹. وقال ابن منظور وجز: وجز الكلام جازه ووجوزاً، أوجز في كلامه: أي اختصره، وأوجز الكلام، قلّ وكان بليغاً، وأوجز الأمر: أسرع فيه ولم يطل، وأوجز الكتاب: لخصه ². وورد عند التفتازاني: "الإيجاز لغة التقصير" ³. نستنتج أن المقصود من الإيجاز لغة هو الإحتصار والتقليل والتقصير والتلخيص.

ب - اصطلاحاً:

يعدّ الإيجاز عند الجاحظ: "الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف".⁴ وذكر ابن سنان الخفاجي أنّ "من شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة، وبلاغة الكلام عند أكثر الناس"⁵. إذن يعد اختصار الألفاظ وحذف الزوائد من الكلام من شروط الفصاحة، والإيجاز هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القصيرة، وفي هذا يضيف الخفاجي قائلاً أن الإيجاز "أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة لا تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل ودقيق الفكر فإن هذا عيب في الكلام ونقص"⁶.

أما السكاكي فعرف الإيجاز أنّه: "أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"⁷، وقد اعتبره نسبياً، والذي لا يظهر منه معنى إلا بقياسه بأمر عرفي وسماه "متعارف الأوساط"، هذا عنده هو الكلام المعروف لأوساط الناس، واعتبره غير محمود ولا مذموم في عالم البلاغة. و "متعارف الأوساط" الذي يتحدث عنه السكاكي هو ما سماه بلاغيون آخرون "المساواة"، أي ما نعرفه في عصرنا باسم المعنى السطحي أو البنية السطحية، أو درجة الصفر كما يسميه آخرون، والذي يعني الكلام المعبر عن المقصود بلفظ مساو لأصله"⁸.

أما عبد القاهر الجرجاني فيقول: "لا معنى للإيجاز إلا أن يدلّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى"⁹، ويوضح لنا كيفية دلالة الألفاظ

القليلة على المعاني الكثيرة لأن لكل لفظ من ألفاظ اللغة العربية دلالة معينة يؤديها، ويرى أنّ "العقل إذا نظر عِلْمَ عِلْمٍ ضرورةً أن لا سبيل له إلى أن يكثر معاني الألفاظ أو يقللها، لأن المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغير على الجملة عمّا أرادته واضع اللغة، وإذا ثبت ذلك، ظهر منه أنّه لا معنى لقولنا: "كثرة المعنى مع قلة اللفظ"، غير أنّ المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد، لو أنّه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير"¹⁰.

و مما أورده جمال إبراهيم قاسم: "الإيجاز هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة و الإفصاح، يعني إنّ الإيجاز هو تأدية المعنى بأقل من متعارف الأوساط مع وفائها بالغرض... فإذا لم تفِ العبارة بالغرض سمي إخلالاً وحذفاً رديئاً."¹¹

مّا سبق يتضح لنا أنّنا نصل إلى معان كثيرة وفوائد جمّة ممّا تشيعه المفردات من إيجاءات ودلالات، وبذلك تتوالد المعاني الكثيرة من الألفاظ القليلة وتندرج هذه المعاني الكثيرة تحتها.

لقد اتفق العلماء في تعريفهم للإيجاز في كيفية مجيء الكلام قليلا دون الإخلال بالمعنى وأن يكون هذا اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة ظاهرة واضحة.

2- أقسام الإيجاز: لقد قسم العلماء الإيجاز إلى قسمين: إيجاز القصر

وإيجاز الحذف، ولكل منهما دلالاته الخاصة ومواطن استعماله المناسبة، وفي هذا المقام سنتناولهما مع إيراد بعض النماذج الشعرية التي وظف فيها الشعراء العباسيون الإيجاز بنوعيه.

1- إيجاز القصر: هو تضمين الألفاظ القصيرة معاني كثيرة من غير حذف في

تراكيب الجملة¹²، وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة، ولهذا قال النبي ﷺ "أوتيت جوامع الكلم"¹³، أو "أُعطيْتُ جوامع الكلم"¹⁴، وذكر الرماني أن هذا النوع من الإيجاز "أغضض من إيجاز الحذف"¹⁵ للحاجة إلى العلم بالمواطن التي يصلح فيها من التي لا يصلح فيها يقول: "هو إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة، واختصار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة... وسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد... واعتماد الغرض دون ما تشعب... وإظهار الفائدة عما يستحسن دون ما يستقبح".¹⁶

بيّن الرماني العبارة الموجزة وما تهدف إليه باختصار المعنى وإظهار الفائدة، والبراعة في استخدام اللفظ الوجيز الذي يرمي إلى المعنى الحسن الجميل. أما أبو هلال العسكري فيرى أنّ إيجاز القصر هو "تقليل الألفاظ وتكثير المعاني وأن يكون اللفظ مشاراً به إلى معاني كثيرة بإيماء إليها ولمحة دالة"¹⁷، وبعد الباقلائي "الإشارة" من البديع ويعرفها فيقول: "هو اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة".¹⁸ اتفق الرماني والباقلاني على تسمية إيجاز القصر بـ "الإشارة"، وهي في تعريف ابن رشيق: "من غرائب الشعر وملاحمه وبلاغته تدل على بعد المرمى، وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز الحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يُعرف مجملًا، ومعناه بعيد عن ظاهر لفظه"¹⁹.

أما ابن الأثير فأطلق على إيجاز القصر "ما لا يحذف منه شيء" وجعل له ضربين: ما ساوى لفظه معناه، وسماه التقدير، وما زاد معناه على لفظه، وسماه الإيجاز بـ²⁰.

ذهب العلماء في تعريفاتهم مذاهب، فإننا نرى أنّها لا تخرج عن القول أنّ إيجاز القصر هو التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة تدل عليه دلالة واضحة، وقد عدّ

العلماء الإيجاز معيارًا تقاس به درجة فصاحة المبدعين لهذا قال " أكتم بن صيفي خطيب العرب ": " البلاغة الإيجاز " ²¹.

نماذج من إيجاز القصر:

للقصر طرق كثيرة في البناء والتركيب منها:

النفي والاستثناء ومثال ذلك قول أبي تمام في مدح محمد بن يوسف الطائي من الكامل:

فَافْخَرْ فَمَا مِنْ سَمَاءٍ لِلنَّدَى رُفِعَتْ
إِلَّا وَأَفْعَالُكَ الْحُسْنَى لَهَا عَمْدُ ²²
في البيت إيجاز قصر، يجسد صورة معبرة في وصف الممدوح بصفات الجود والكرم والبذل، وقد جعل الشاعر للعطاء سماء ترفع عمادها الأفعال الحسنى والأخلاق الكريمة.

بأدوات العطف ومنه القصر بأداة العطف (لكن)، من أمثلة ذلك قول أبي تمام في مدح عيَّاش بن هليعة الحضرمي من الكامل:

وَمَا ضَيْقُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ أَضَافَنِي
إِلَيْكَ وَلَكِنْ مَذْهَبِي فِيكَ مَذْهَبِي ²³
علّق التبريزي على البيت قائلاً: " لم يلجئني ضيق البلاد عليّ، وكساد بضاعتي عند النَّاسِ، ولكن مذهبي ألاً أسأل إلاّ الكريم " ²⁴ فالشاعر يستميل قلب الممدوح مستجدياً في أبلغ بيان لا يشوبه منٌّ ولا أذى، وهو كريم في طبعه وخلقه.

وقد وظف أبو تمام في موضع آخر القصر بـ (إنّما) زيادة على العطف، فهي تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، ومثال ذلك قوله في مدح خالد بن يزيد الشيباني من الكامل:

شَرَفٌ عَلَى أَوَّلَى الزَّمَانِ وَإِنَّمَا
خَلَقَ الْمَنَاسِبَ أَنْ يَكُونَ جَدِيدًا ²⁵

فشرفه علي ضارب بجذوره في خلق آبائه من قبل، وليس ما كان حديثا كان خلقا جديدا لا يتفكر فيه، والقصر (إنما) أصاب المعنى ونفى ما لم يرد في البيت من محذوف، فلكل حديث لا ينظر إليه بعين الصواب ولا يتدبر، وكل تليد أجدر أن يعرف قدره، ويرجع إلى أهله.

ويوظف أسلوب قصر بـ (إنما) في رثائه إسحاق بن أبي ربيعي (من السريع) قائلا:

رَاحَتْ وَفُودُ الْأَرْضِ عَنْ قَبْرِهِ فَارِعَةً الْأَيْدِي مِلَاءَ الْقُلُوبِ
قَدْ عَلِمْتُ مَا رُزِئْتُ إِنَّمَا يُعْرِفُ فَقْدَ الشَّمْسِ بَعْدَ الْغُرُوبِ²⁶

مثل الشاعر بالشمس ومغيبها ليعظم الفقد وما حلَّ بمحببه بعد موته، وقد عمد الشاعر إلى القصر بـ (إنما) مورداً تشبيهاً ضمناً بديعاً في براعة وتفنن في أسلوب مبتكر، وإخفاء معالم التشبيه، فالوفود الحاشدة التي تبعت الجنازة قد وعت الفراغ (ما رزئت) الرهيب بعد الانصراف من الدفن، وكذلك الشمس لا يعرف قدرها إلا بعد غروبها واختفائها.

ويوظف الشاعر القصر بـ (سوى) عوض (إلا) في مثل قوله يمدح بني عبد الكريم الطائيين (من الوافر):

إِذَا مَا قِيلَ أُرْعِفَتِ الْعَوَالِي فَلَيْسَ الْمُرْعَفَاتُ سِوَى الْكُلُومِ²⁷

في البيت أسلوب قصر يتضمن استعارة مكنية، حيث شبه أبو تمام الرماح بالإنسان الذي يَرْعَفُ وَيَخْرُجُ منه الدم، ويشرح التبريزي قائلا: "يجوز (مُرْعَفَاتٍ) بكسر العين، أي إِنَّ الرِّمَاحَ تُرْعِفُهَا الْكُلُومُ، لأنها يُعْطِيهَا الدَّمُ، ثم يقطر من الأسنة، وإن رَوِيَتْ (المُرْعَفَاتُ) بفتح العين فهو وجه حسن، أي أَنَّ الرماح تُرْعَفُ والدَّمُ في الحقيقة إِنَّمَا يَخْرُجُ من الكلوم، فكأنَّ العوالي ليست

بالرَّاعِفَة، وهذا كما تقول ما ظلمني فلان، وإِثْمًا ظلمني من مكنه من ظلمي"²⁸. فالتبريزي بشرحه هذا قدم لنا احتمال تأويلين للبيت.

فصل المبتدأ والخبر بضمير الفصل (هو) ومنه قول أبي تمام يخاطب علي بن الجهم يستنجز له وعداً من عثمان بن إدريس الشامي من الوافر:

وَإِنَّ الْمَدْحَ فِي الْأَقْوَامِ مَا لَمْ يُشَيَّعَ بِالْجَزَاءِ هُوَ الْهَجَاءُ²⁹

فالهجاء خبر إن سبقه ضمير الفصل (هو)، وهذا ما قصد إليه الشاعر ليخصص ويعرف الهجاء عن غيره، فالمدح الذي لا يجازى صاحبه بالعطاء والخلع عليه هو هجاء للبخیل والممسك عن البذل، إذ لم يع قدر المدح فأزرى بنفسه، وكأنَّ أبا تمام يقول للمخاطب لا حاجة لي بمجائك بعد أن أخلفت الوعد، بل شعري الذي مدحتك به إِثْمًا هو ذو حدين: حد مدح لمن جازى به، وحد ذم لمن أمسك عن المجازاة.

ب- إيجاز الحذف:

1- الحذف لغة: ورد في كتاب لسان العرب: " حذف الشيء يحذفه حذفاً قطعاً من طرفه. وحذف الشيء إسقاطه"³⁰. وذكر الزمخشري: " حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه، وفرس محذوف الذنب، وزف محذوف، مقطوع القوائم، وحذف رأسه بالسيف، ضربه فقطع منه قطعة، وحذف الأرنب بالعصا: رماه بها... ومن المجاز حذفه بجائزة: وصله بها، وحذف الصانع الشيء سواء تسوية حسنة."³¹ إذن الحذف لغة هو القطع، الإسقاط، الرمي ومجازاً الوصل، والتسوية الحسنة.

2- الحذف اصطلاحاً: حظي إيجاز الحذف بعدة تسميات، فقد سماه الجاحظ "الإيجاز المحذوف" و"الكلام المحذوف"³². وقد اهتم النحاة

والبلاغيون بالحذف لما له من أهمية، ذكر الرماني أنه: "أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مهيب، في القصد من الجواب... والحذف إسقاط كلمة الإجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام... وهو الإسقاط للتخفيف".³³

ويبين ابن سنان فائدة الحذف فقال: "الحذف في الكلام مع الدلالة على المراد فائدة، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، مع الدلالة ولو ورد ظاهراً في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة"³⁴، ويكون الحذف "بحذف كلمة أو جملة أو أكثر من جملة مع قرينة تعين المحذوف"³⁵.

وأشاد عبد القاهر الجرجاني بمرتبة الحذف ومقامه حيث اعتبره "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين".³⁶

أما ابن الأثير فيقول: "هو ما يحذف منه المفرد، والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه، وهذا نوع من الكلام شريف، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة، من سبق إلى غايتها وما صلى، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى، وذلك لعلو مكانه، وتعدّر إمكانه"³⁷، وأضاف: "إن الحذف أقوى دليلاً على زيادة المعاني على الألفاظ لأننا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه، وفهم ذلك المعنى ضرورة لابد منه، فعلمنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالة عليه"³⁸. ومن هنا يظهر احتفاء ابن الأثير وإشاداته بالحذف.

وما من شك أن الحذف يجعل الكلام مقبولاً حسناً في مواضع خيراً من ظهور

المحذوف، وذهب الزملكاني إلى القول: " رب صمت أفصح من فصيح كلام، وغمز تقصر عنه أنياب السهام وحد الحسام، وكم من إشارة هي قلادة الجيد وكناية هي قاعدة التجويد." ³⁹

إذن للحذف أهمية ودور، فالعرب " حذفت الجملة، والمفرد، والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته" ⁴⁰، والحذف شكل من أشكال التأكيد المبنية على الاختصار وإعطاء الأهمية لجزء من التركيب دون غيره، ولا بد أن يكون للأشياء المحذوفة من الجملة الشعرية دلائل وقرائن، ولا يعدّ هذا الانزياح شعرياً إلاّ إذا حقق غرابة ومفاجأة وحمل قيمةً جمالية ما ⁴¹، ويستمد الحذف أهميته من أنّ الشاعر لا يوظف المفردات المتوقعة للسياق، بل يترك للمتلقي اكتشافها بعد أن يوقد في ذهنه الإثارة والتشويق.

فالشاعر المبدع للغته الشعرية يتعمد الحذف ⁴² صورة من الصور التركيبية في شعره لا اضطراراً لفعل ذلك بل من أجل تأهيل نصه من أجل النهوض بوظائفه الجمالية الفنية " قد ترى الذكر أفصح من الذكر، والامتناع من أن يبرزه اللفظ من الضمير، أحسن للتصوير؟" ⁴³

لكن الحذف من الوجهة النحوية والبلاغة يجب أن لا يؤدي إلى الإبهام والغموض وفي هذا يقول الجاحظ: " إنّما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه" إشارة منه إلى أنّ للحذف شروط منها أن لا يؤدي إلى الغموض والإبهام، لذلك لا يمكن للشاعر أن يحذف الأركان الأساسية كلها من الجملة الشعرية في إبداعه، وله حرية التصرف في حذف بعضها، أو بعض المكملات في هذه الجملة، فإذا كان الحذف الذي وظفه جيّداً لائقاً فإنّه سيجعل اللغة العادية تسمو إلى مستوى التعبير الشعري الذي يفجر الجمال

وطاقت الفن عند المتلقي بعد أن يشحن ذهنه وفكره تجاه المفردات اللغوية المحذوفة ليصل إلى الدلالات غير المتوقعة للتركيب الشعري.

اتفق العلماء حول كيفية مجيء الكلام قليلاً دون الإخلال بالمعنى، وأن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة، وقد وظف الشعراء العباسيون الحذف في شعرهم كأحد وسائل الانزياح أو الانحراف في اللغة الشعرية، وستتناول بعض نماذج إيجاز الحذف عند بعض الشعراء.

- نماذج من إيجاز الحذف:

حذف الحرف من الكلمة: من ذلك حذف حرف الجر الزائدة (ربّ) في قول أبي تمام في مدح أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلي من الطويل:

وَرَكِبَ يُسَافِرُونَ الرِّكَابَ رُجَا حَاجَةً مِّنَ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفُّ قَاطِبٍ⁴⁴

حذف أبو تمام (ربّ) حرف الجر الزائدة من (ركب) فكان البيت أيسر وأخف وأبلغ في البيان، وقد قدم وصفاً بديعاً للسير.

— حذف (ما) من الفعل الماضي ومثاله قول أبي تمام يمدح المعتصم بالله من البسيط:

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِّنْ رَّاحَتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ⁴⁵

التقدير (ما درى)، حذف أبو تمام حرف النفي، لأنّ المعنى معنى القسم، وكأنّ الشاعر يقول: والله لا يدري من لم يذق جرعا من راحتك، إذ عمد إلى الحذف لأن المعنى دال عليه. والمعروف حذف (لا) في جواب القسم دون (ما)، ولا يمتنع في القياس أن يجمع بينهما في الحذف لأنهما من حروف النفي فتحمل إحداها على الأخرى، فيتحقق المعنى بذلك، أي من لم يذق من بأسك وجودك جُرْعاً لم تتحقق عنده مرارة الحنظل ولا حلاوة العسل⁴⁶.

وبذلك فأبو تمام لم يخل بالوزن كما زعم البعض، ولكنه في تشكيكه للبيت قدم إبداعاً.

— حذف أدوات الاستفهام، ومنه قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد من الكامل:

أَنْسَى أَبَا نَصْرٍ نَسِيتُ إِذَنْ يَدِي فِي حَيْثُ يَنْتَصِرُ الْفَتَى وَئِيلُ؟⁴⁷
ينكر أبو تمام نسيان الفقيد، ويقرن ذاك - إن وقع- ببتريده في ساحة الوغى، وهذه دلالة على مكانة الفقيد من نفسه . حذف الهمزة ، والأصل (أأنسى) ويبقى المعنى قائماً دونها في طلب التصديق بأنه لا ينسى الفقيد محمد بن حميد.

— حذف الكلمة من الجملة: ومنه حذف المبتدأ ومثاله قول ابن المعتز:

رَوْجَةٌ لِلْفَرَاتِ مِنْ زَعْفَرَانٍ تَلِدُ الْخُبَّ فِي رُؤُوسِ الْفَتَانِ⁴⁸
حذف الشاعر المبتدأ وصدر الخبر في بداية مشهده الشعري، والتقدير "هي زوجة"، لكنّه رسم لهذا الحذف مدلولات تعرّف به، وتفصح عنه، ولم يدخل البيت في إطار الغموض والإيهام، لأنّ متابعة التركيب تكشف عن دلالات ترتب بهذا المحذوف وتفصح عنه بيسر، الأمر الذي جعل الحذف الفني يأخذ دوره في رفع مستوى الجملة من الخطاب العادي والشكل البنائي البسيط إلى الخطاب الشعري والشكل الفني الجيد. ومثله قول أبي تمام في مدح الخليفة المعتصم بالله لما فتك الأفشين خيذر بن كاؤس من الكامل:

مَلِكٌ غَدَا جَارَ الْخِلَافَةِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الْجَارِ⁴⁹
فملك خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو ملك" يعود على الخليفة، والمقام لم يحتج فيه الشاعر إلى إثبات المبتدأ، إذ هو مقام الخليفة وهنا أحسن أبو تمام وقدم بيتاً جميلاً.

ظاهرة الحذف عند البحري في مواضع كثيرة، إذ يقول في مدح أبا سعيد مُجَّد بن يوسف من الطويل:

مُلُوكٌ يُعَدُّونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَزَعُوهَا وَالدُّرُوعَ عَلَائِلًا⁵⁰
والتقدير "هم ملوك"

وقوله في نفس القصيدة،

بَعِيدٌ مِنَ الْحُسَّادِ تَزْدَحِمُ الْعُلَا عَلَيْهِ إِذَا مَا عَدَّ سَعْدًا وَنَائِلًا⁵¹
والتقدير "هو بعيد"

وقوله يمدح أبا جعفر أحمد بن مُجَّد الطائي من الكامل:

بَيِّضَاءُ إِنْ تُعْلِلَ بِلَحْظٍ لَا تَهَبُ بُرْءًا وَإِنْ تُقْتَلُ بِدَلٍّ لَا تَدِ⁵²
والتقدير "هي بيضاء"

حذف البحري من هذه الأبيات المبتدأ، لكنه دلل عليه وعرف به من خلال التركيبات اللاحقة، وعبر الحذف آثار مخيلة المتلقي لبحث عن صفات المحذوف ومدلوله، من خلال حالة الترقب التي جرته إلى المعنى المقصود.

ومثال عن حذف الخبر في قوله يمدح الحسين بن مُجَّد الطائي من الطويل:

مَوَازِينُ حِلْمٍ مَا يُوَازِنُ قَدْرُهَا وَسَاعَاتُ جُودٍ مَا يُطَاعُ عَدْوُهَا⁵³

يتصدر الخبر في كل شطر من البيت ، والتقدير هنا " له موازين - له ساعات " ، حذف الشاعر الخبر مع الدلالة عليه في البيت من أجل غاية فنية جمالية، وهدفه جعل متلقي الشعر في حالة ترقب تجره إلى المعنى المقصود. وتكون جمالية أكبر إذا استطاع الشاعر أن يجمع بين حذف المبتدأ والخبر في بيت واحد كم فعل المتنبي في قوله:

شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ تُرْنَجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ⁵⁴
 فشديد خبر لمبتدأ محذوف تقديره " أنت شديد " وترنج رفع بالابتداء والتقدير
 في مجلسك، وعلى هذا يكون المتنبي حذف المبتدأ من الشطر الأول والخبر من
 الشطر الثاني، وحقق الفاعلية الفنية الجمالة في البيت.
 إنّ مواطن الإيجاز على تنوعه وتعدد أساليبه، لم تخل بالنظام الرئيس للغة، غير
 أنّها سمحت في الوقت نفسه بإعطاء دلالات غنية للمشاهد الشعرية، وتركت
 للمتلقى أثراً انفعالياً جمالياً في اكتشافها، ودلّت على الروح الفنية الغنية التي
 تمتع بها شعراء العصر العباسي، وأظهرت قدرتهم في سبك الجملة ونظمها
 تنظيمًا يحرك الشعور ويغني الفكر، كما أضافت أيضاً إلى بعض الأبيات مزيداً
 من ضرورة التمهيص والتدقيق للوصول إلى فك شفراتها، من خلال حالة
 التأهب الدائم حولها للكشف عن فنيته وجماليته.
 إنّ توظيف الشاعر للإيجاز يحمل مزايا في شحذ عقل المتلقي وإيقاع الدهشة
 ودفعه للتفكير والمشاركة الإيجابية الفعالة في إيجاد آليات من أجل الوصول إلى
 المعاني التي أفرزها توظيف الإيجاز.

ويظل الإيجاز باعتباره أسلوب لغوي بالنسبة للشاعر " صورة من فردانيته
 وهيئة تعامله مع اللغة واستنطاقه وحدات التعبير فيها."⁵⁵

الهوامش:

-
- الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1923،
¹ مادة وجر، ج2، ص493.
 - ينظر: ابن منظور ابن الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1966،
² مادة وجر، ج6، ص477.

- التفتازاني، سعد الدين بن مسعود بن عمر، شروخ التلخيص، دار السرور، بيروت³ لبنان، ص3.
- ⁴ - الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص17.
- ⁵ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص241.
- ⁶ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص174.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص277.
- ⁷ - بديدة، يوسف، بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية، ماجستير، جامعة باتنة، 2008-2009، ص19.
- ⁸ - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ص463.
- ⁹ - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ص464.
- ¹⁰ - قاسم، جمال إبراهيم، البلاغة الميسرة، دار ابن الحوزي، القاهرة، 2012، ص517.
- ¹¹ - قاسم، جمال إبراهيم، البلاغة الميسرة، ص517.
- ¹² - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ج1، ص78.
- ¹³ - ابن رشيق، أبو الحسن، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، دار الجيل للنشر، 1981، ط5، ج1، ص253.
- ¹⁴ - الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط3، ص77.
- ¹⁵ - الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص79.
- ¹⁶ - العسكري، أبو هلال، الصناعتين، مطبعة البابي الحلبي، 1952، ص174.
- ¹⁷ - الباقلاني، الحسن بن عبد الله بن سهل، إعجاز القرآن، ص119.
- ¹⁸ - ابن رشيق، أبو الحسن، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج1، ص513.
- ¹⁹

- ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص319.²⁰
- ²¹- قاسم، جمال إبراهيم، البلاغة الميسرة، ص518.
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ج1، ص245.²²
- ²³- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص91.
- ²⁴- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص91.
- ²⁵- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص221.
- ²⁶- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص206.
- ²⁷- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص78.
- ²⁸- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص78.
- ²⁹- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص379.
- ابن منظور، ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة حذف، ج7، ص810.³⁰
- ³¹- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، ج1، ص163.
- ³²- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص146.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص77-80.³³
- ³⁴- ابن سنان الخفاجي، محمد بن عبد الله بن سعيد، سر الفصاحة، ص313.
- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص145.³⁵
- ³⁶- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، ص146.
- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص255.³⁷

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،
ج2، ص277.³⁸
- ابن الزملاكي، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، مطبعة العاني،
بغداد، 1964، ص128.³⁹
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2،
ص360.⁴⁰
- ويس، أحمد، الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، مؤسسة اليمامة الصحفية،
الرياض، 2003، ص142.⁴¹
- ينظر، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص172.⁴²
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص172.⁴³
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص112.⁴⁴
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص8.⁴⁵
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص8.⁴⁶
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج2، ص226.⁴⁷
- ابن المعتز، عبد الله، الديوان، دار صادر، بيروت، ج2، ص272.⁴⁸
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص335.⁴⁹
- البحري، أبو عبادة الوليد بن عبد الله، الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005،
ج2، ص885.⁵⁰
- البحري، أبو عبادة الوليد بن عبد الله، الديوان، ج2، ص885.⁵¹
- البحري، أبو عبادة الوليد بن عبد الله، الديوان، ج1، ص398.⁵²
- البحري، أبو عبادة الوليد بن عبد الله، الديوان، ج2، ص952.⁵³
- المتنبي، أبو الطيب، الديوان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج3، ص90.⁵⁴
- حيزم، أحمد، فن الشعر ورهان اللغة، دار مُجد علي الحامي، تونس، 2001،
ص133.⁵⁵